الفصل السادس
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفيه مسألتان: وهما ضرورة الأمر بالمعروف وَالنَّهي عن المنكر، وحاجتنا إلى وسائل جديدة وحديثة لتطبيق ذلك.

◘ المسألة الأولى:

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما صمام الأمان مِنْ عذاب الله ﷻ.

قال ﷺ: **{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ }**(١).

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ: **{ إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ }**، ثُمَّ قَالَ: **(لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾)** [المائدة] (٢).

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ سفينة الأمَّة الإسلامية لن تصل إلى بَرِّ الأمان إِلَّا إذا أخذت على يد المُفسِد والمُخَرِّب وَالأحمق والجاهل، ومُدَّعِي حرية التصرَّف، والإباحيَّة.

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب «الفتن»، ب: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ح: «٢١٦٩» مِنْ حديث حذيفة بن اليمان ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود: ك: «الملاحم»، ب: «الأمر والنهي» ح: «٤٣٣٦» مِنْ حديث ابن مسعود ﷺ.

مثالٌ ضربه النَّبيُّ ﷺ للقائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم ركِبوا سفينة واستهَمُوا، فكان قومٌ في أعلاها، وآخرون في أسفلِها، فكلما احتاج الذين في أسفلها إلى الماء ذهبوا إلى أعلاها، فقال الذين في أسفلها: لو أننا نَخرِقُ في قاع السفينة خرقًا لنحصل منه على ما نحتاجه مِنَ الماء حتى لا نؤذي مَنْ فوقنا. فلَو أن الذين في أعلاها لم يأخذوا على أيديهم ويمنعوهم مِنْ ذلك التصرُّف في نصيبهم لغرقوا وهلكوا جميعًا»(١).

❁ ❁ ❁

وفي هذا الحديث فوائدُ عديدة، منها:

١- أن المسلمين في طريق واحد، ومصلحتهم واحدة، وغايتهم واحدة. وهم كما في الحديث **{ كَالْجَسَدِ الواحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }**(٢)، وهذا مثلُهم في توادِّهم وتراحمهم، فهم جميعًا في مركِب واحد.

٢- أن المسلمين يُكَمِّل بعضُهم بعضًا، فلو تفرَّقوا واختلفوا لهلكُوا جميعًا؛ قال تعالى: **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾)** [آل عمران].

٣- أن التعاونَ بينهم في مجال مصالحهم الدنيويَّة واجبٌ شرعًا، ومفروضٌ عليهم حتمًا، وهذا مِنْ منطلق أنهم أصبحوا بنعمة الله تعالى إخوانًا، قال تعالى: **(فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)** [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) انظر: حديث السفينة أخرجه البخاري: الشركة، ب: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، ح (٢٤٩٣)، عن النعمان بن بشير ﷺ، وانظر كتاب: «حتى لا تغرق السفينة»، «دروسٌ وعِبَر» لَلمؤلف «غفر الله له ولوالديه وللمسلمين».

٢) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: رحمة الناس والبهائم، ح (٦٠١١)، ومسلم: ك: البروالصلة والآداب، ب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

والإيثار مطلوب بينهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

٤- أن التفكير ضرورة شرعيَّة، فلو أنَّ الذين في أعلاها تدبَّروا الموقف، ودرسوا الأحوال جيدًا لتبين لهم خطورة الموقف وصعوبته، وعند التفكير يجب عمل حساب لتفاوت العقول في الفهم، وأنَّ منهم الأحمق، والمنُتفع، والكسول الذي يبحث عن الراحة حتىٰ لو كان فيها هلاكه، ومنهم المستسلم للواقع.

وأن الأخذ علىٰ يد المفسِد علىٰ قدر مفسدته أمرٌ ضروري لاستمرار الحياة، ولمسيرة التنمية والرخاء، والوصول إلىٰ بَرِّ الأمان، وقوّة الأخذ عليه تُقدَّر علىٰ قدر المفسدة الناتجة مِنْ سوء فعله وتصرُّفه.

٥- أمتنا المسلمة لا تستطيع قوةٌ بشرية القضاء عليها أو تعطيل مسيرتها إِلَّا إذا استشرىٰ فيها الفساد، وتُرِك الباطل يسود وينتشر، وارتفع فيها صوت المنكر، وتحقَّق فيها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧].

فإذا علا صوتُ الباطل، وجاهر الناس بالمعاصي وافتخروا بها، حلَّ بهم بلاءان:

الأول: أنهم يُحْرَمُون العافية مِنَ الله تعالىٰ؛ قال ﷺ: **{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ }**(١).

الثاني: أن يسلِّط الله ﷻ عليهم ـ بسُنَّته التي لا تتبدَّل ـ عدوًّا مِنْ أنفسهم حتىٰ يُراجِعوا دينهم، وليس دنياهم فقط.

٦- لا بُدَّ للأُمة المسلمة مِنْ مهمَّة تُخطِّط لها، وتعمل مِنْ أجلها كي تصل إليها

---

١) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: ستر المؤمن على نفسه، ح (٦٠٦٩).

وتتوحَّد فيها الجهود والطاقات للوصول إلى الهدف. ومعلومٌ مِنَ الحديث أن كُلَّ سفينة لها وِجهة تسير إليها.

٧- العمل على تلبية حاجات المسلم الضروريَّة؛ لأنَّ المُضطر يركب الصعب. فالعمل على تلبية هذه الحاجات، وتوفيرها ومساعدتهم فيها فرضٌ شرعي.

ولذلك أمرَ الله ﷻ بالزَّكاة، وجعل في أموال الأغنياءِ حقًّا معلومًا لهؤلاء، ورَغَّبَ في الصدقات والإنفاق في سبيل الله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة]، ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن].

٨- على المسلمين الرضا بقضاء الله وقدره، والرِّضا مِنْ أركان الإيمان، وأن يعلموا أن قَدَرَ الله تعالى يجرى على الناس جميعًا؛ فمَن رَضيَ فله الرِّضا، وَمَنْ سَخِطَ فعليه السُّخْطُ.

عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ ﷺ: **{ لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ }**(١)،

وَمِنْ أساسيَّات العقيدة الإسلامية أنَّ: **{ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }**(٢). وهذا جزء

---

١) أخرجه أبو داود: ك: «السُّنَّة» ب: «في القدر» ح: «٤٦٩٩»، وصحَّحه الألباني.
٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: ك: عمل اليوم والليلة، ح «٩٧٥٦».

مِنْ أدعيته ﷺ أولَ النهار وآخرَه.

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾ [التوبة: ٥١].

وقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١].

ومِنْ دُعائِهِ ﷺ في بداية الرَّفع مِنَ الركوع بعد « سَمِعَ الله لمن حمده »:

{ اللَّهُمَّ رَبَّنا لَكَ الْحَمْد حَمدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ }، (وفي رواية):[1] **{ مِلءُ السَّمَاواتِ وَمِلءُ الأرضِ وَمِلءُ مَا شِئْتَ مِن شَيءٍ بَعْدَ، أَحَقُّ مَا قَالَ العَبْدُ وَكُلنَا لَكَ عَبدْ، اللَّهُم لَا مِانِعَ لِما أَعْطَيتَ، وَلَا مُعْطِى لِما مَنَعْتَ، وَلَا رَادّ لِما قَضَيْتَ، وَلَا يَنْفعُ ذَا الجَدِّ مِنْكِ الجَدَّ }**[2].

- **وإن تحقق هذا الرضا فهو كفيل بزوال:**

• **الحسد المذموم** الذي يأكل الحسنات، وهو أول معصية ارتُكِبَت مِنْ إبليس عندما حسَدَ آدمَ عليه السلام فقال لربِّهِ عز وجل: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء].

• **الحقد**، وهو ما دَفَعَ أحد ابني آدم إلى قتل أخيه.

• **النظر لمن هو أعلى**: وذلك مِنْ علامات السعادة والسرور، كما أمر ﷺ بالنظر لمن هو دونك في الدنيا، وليس لمن هو أعلى، فذلك أحرى ألَّا تزدري نعمة الله تعالى عليك، أمَّا النظر لمن هو أعلى في الدين فهو سبب للغبطة وتمنِّي الزيادة له، وكان حافزًا لك على العمل، باعثًا لك على الهمَّة العالية في أنْ تكون مثله، وتنفع أمَّتك كما نفعها هو، فهذا محمود مطلوب.

• كما يكون هذا الرِّضا باعثًا للهمة والنشاط والعمل والبهجة والسرور، طاردًا

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الصلاة»، ب: «فضل اللهم ربنا لك الحمد» ح: «٧٧٩» مِن حديث رفاعة بن رافع الزُّرقي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم: ك: «الصلاة» ب: «ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع» ح: «٤٧١».

للوسواس والكسل والتقاعس والحُزن والاكتِئابِ، وهو مِنْ أهمِّ علامات رضا الله تعالىٰ عن عبده المؤمن.

فلو رضِيَ مَنْ هو أسفلَ السفينة، ورضِيَ مَنْ في أعلاها لما طرأت فكرة خرق السفينة، ولو تحقَّق الرِّضا لكان العمل الجماعي التعاوني في تحمل الأعباء والمشقة أهمَ أسبابِ النجاة والوصول إلىٰ برَّ الأمان.

• إنَّ الدافع وراء الأعمال السيِّئة: الكسل والتقاعس والخمول، وإنَّ الخراب مُحَبَّب إلىٰ تلك النفوس صاحبة هذه الصفات، ولو كانت لديهم الحِكمة والهمَّة لقالوا: تعالَوْا ندرس الأمر مع مَنْ أعلاها، ونفاوضهم ونُبَيِّن لهم المصلحة العامَّة فهي أولىٰ مِنَ المصلحة الخاصة، وإن تحمُّلَ صعودهم وَأخذهم الماء مِنْ أعلىٰ أهون مِنْ غرق السفينة، وإنَّ مَا هم فيه مِنْ ميزاتٍ يجب شُكرها، ومِنْ شُكرِها مساعدة مَنْ حُرم مِنْ هذه النِّعم؛ لأنَّ النِّعم لا تُعرف إلَّا إذا فُقدت.

• إنَّ خَرْقَ السفينةِ مِنْ وحي الشيطان (نعوذ بالله منه)، فكان يجب مقاومته، وألا نُعين ضِعاف الإيمان عليه، وهكذا يستطيع إبليس أنْ يُقنِع أتباعه بالخراب، حتىٰ ولو كان فيه هلاكهم.

• ألَا تنظرُ إلىٰ شارب الدخان! كيف يكون علىٰ يقين مِنْ أنَّ الدخان قد يؤدي إلىٰ الوفاة، وكل علبة سجائر مكتوب عليها ومدون بالخط الواضح: (التدخين يُدمِّر الصحَّة، ويؤدِّي إلىٰ الوفاة).

• أمَا ترىٰ حال الدول العربية والإسلامية في خلافاتها وفُرْقَتها، وذلك سبب ضياعها وتمكُّن الأعداء منها، واحتلالها بلدًا وراءَ أخرىٰ، وهي مع ذلك لا تَحرص علىٰ وحدتها وائتلافها وتكتلها واعتصامها بحبل الله جميعًا كما أمرها القرآن، وتسمَع وتقرأ المثل القائل: «**أُكِلتُ يومَ أُكِلَ الثور الأبيض**»، بل العَجب العُجاب أنك تجد القيود والحدود، والتأشيرات تُفرَض فرضًا علىٰ إخوانهم مِنَ

العرب المسلمين، وهي مُستباحة لدول الغرب والشرق، فمتىٰ نفضِّل أبناء ديننا، وإخواننا وعشائرنا علىٰ غيرهم؟!

• وما زِلْتُ أتعجبُّ وأتحسَّر مما يحدث في بعض الدول العربية مِنْ نُظُم للتوظيف تُبيح وتُسهِّل العمل لغير المسلمين، وتُبعِد إخوانهم وهم في أشدِّ الحاجة لهذه الوظائف، وتحرِم أبناءهم من التعليم الحكومي والجامعي وتُيسِّرُه لغيرهم.

وبنظرة إلى المستقبل: هل يُساعد ذلك علىٰ الوحدة الإسلامية، وعودة الخلافة الإسلامية، أم يزيد الفُرقَةَ والبغضاء؟!

❁ ❁ ❁

• إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حماية مِنْ عذَابِ الله تعالىٰ العام وعقابه الشامل، وفي الحديث قوله ﷺ: **{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ..}**(١).

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **{ أَوْحَى اللهُ إِلَى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنِ اقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا عَلَى أَهْلِهَا. قَالَ: إِنَّ فِيهِ عَبْدَكَ فُلَانًا لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَالَ: اقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، فَإِنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرَ لِي سَاعَةً قَطُّ }**(٢).

وورد في تفسير قوله تعالىٰ: **﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾﴾** [المائدة]، أنَّ الرجل كان يمرُّ علىٰ الملأ مِنْ بنىٰ إسرائيل يفعلون المنكر (يلعبون القِمار مثلًا) فيأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، فإذا كان اليوم التالي وجدَهم كذلك فيجالسهم ويؤاكلهم، ومِنْ أجلِ ذلك لُعِنُوا، ولقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ أنَّ أُناسًا مِنْ أُمّته سيتَّبعون سُننَهم، ويُقلِّدونهم في أفعالهم.

---

١) سبق تخريجه في أول هذا الفصل.

٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، ح «٧٦٦١»، والبيهقي في شعب الإيمان، ح «٧١٨٩».

وقد حدَث ما أخبر به ﷺ.

وقد ورد في الأثر مرفوعًا: [**إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: إِنَّكَ ظَالِمٌ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهَا**](١).

والأمرُ بالمعروف والنهيُ عَنِ المُنكرِ مِنْ أجَلِّ صفات المؤمنين، بينما النهيُ عَنِ المعروف والأمر بالمنكر مِنْ أوضح صفات المنافقين.

قال تعالى: ﴿ **وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ **ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ** ﴾ [التوبة: ٦٧].

• فبيَّن الله تعالى علامات أهل الإيمان مِنَ النصرة والتعاون والمحبَّة فيما بينهم، وأنَّ ثمرة ذلك اتفاقهم جميعًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأنَّ المنافقين تَكَتُّلات وأحزاب مُتشابهة فيما بينها، دعايةٌ واحدةٌ للباطل، يَأْمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويَقبِضون أيديَهم، نسُوا الله فنسِيَهم؛ أي نسُوا الله في الدنيا فنسِيَهم في جهنم جزاءًا وفاقًا.

❁ ❁ ❁

• والأمْر بالمعروف يجب أنْ يكون بالمعروف، والنهي عن المنكر يجب ألَّا يُؤدِّي إلى منكر أكبرَ منه.

ومهمَّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت في العهود المباركة الأُولى يُفوِّض فيها الخليفةُ أو أميرُ المؤمنين رجالًا يتحمَّلون هذه المسئولية، وذلك لا يمنع تكليف المسلم بذلك كفرد له دائرته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

١) انظر: أورده الشجري الجرجاني في ترتيب الأمالي، ح (٢٥٩٥)، عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

وتقع مسئوليتها على المسلم مِنَ الدرجة الأُولى، وبعض هذه المهام تقع عاتقها على رجال الحِسبة الذين يُحاربون الجريمة، وهذا نوع مِنَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• فإذا فسد هذا الجهاز وتسرَّبت إليه المحسوبِيَّة والرِّشوة فنقول: «**وإنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون**». ولو صَلُحَ هؤلاء الرجال لتغيَّر الكثيرُ مِنْ أحوال الناس إلى الأفضل، ورضي الله عن عليِّ بن أبي طالب ﷺ والفاروقِ عمرَ بن الخطاب ﷺ عندما أتت كنوز المدائن بعد معركة القادسية وسقوط مملكة الفرس، قال عمر: «إِنَّ قَوْمًا أَدَّوْا هَذَا لَأُمَنَاءُ». فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: « إِنَّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتْ رَعِيَّتُكَ، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعَتْ »(١).

• وتقع المسئولية الكبرى على العلماء في هذه الأمة، فهم صمامُ الأمان في المجتمع؛ حيث لهم هيبةٌ ومحبةٌ في قلوب الناس، وهم الأمن الحقيقي والأمانُ للمجتمع المسلم، وهم الوقايةُ الحقيقية مِنَ الجريمة قبل وقوعها.

فهم يرشدون الناس، ويعلِّمونهم أنَّ القتلَ، والسَّرِقة، والزِّنا، والسُّكْر، والرِّشوة، وشهادة الزور، والكذب، وأكل أموال الناس بالباطل، والغِش، وعقوق الوالدِّين، ونحو ذلك .. كل ذلك حرام.

فإذا أُطلِق العِنان لهؤلاء العلماء انعدمت الجريمة أو كادت تنعدم؛ لأن استجابةَ الشعوب لهم أكبرُ بكثير مِنْ استجابة الناس للقانون أو رجال الشرطة.

• وهذه هي المسئولية العامة (الحكام، والعلماء) وهناك مسئولية تقع على كل مسلم في محيطه، وحسب إمكانياته، وسعيه وحبِّه لله ولرسوله ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **{ مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ**

---

١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٧/ ٧٨).

قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ }(١).

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: { مَنْ رَأى مِنكُم مُنكرًا فَلْيُغَيِّرْه بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطعْ فَبِلِسَانِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِع فَبِقَلْبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمان }(٢).

وفي هذا الحديث عدة فوائد، منها:

أولا: قوله ﷺ { مَنْ رَأى }: فيه دليل على أنَّ الأمر واجب على كلِّ مَنْ رَأى المنكر مِنَ المسلمين المكلَّفين.

ثانيًا: { منكرًا }: لا بُدَّ له مِنْ عِلْمٍ وفقه يَعرِفُ به المنكر مِنَ المكروه مِنَ المباح مِنَ الحلال مِنَ الحرام.

ثالثا: { فَلْيُغَيِّرْه }: هذا يحتاج منه إلى فكر ووسيلة وخطة سريعة في الذهنِ لحساب أحسن الطرق وأفضلها لتغيير هذا المنكر. المهم أنْ لا يألو جهدًا في العمل والسعي إلى تغييره.

رابعًا: أنْ يكون ممن يأتسي بما يأمر به، وينتهي عما ينهى الناس عنه، فهذا عاملٌ كبير في وقوع كلامه أو عمله موقعه المؤثِّر في قلوب الآخرين، وهذا هو دور الإخلاص وأثره على الآخرين، وحتى لا يكون ممن وصفهم الله بقوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف]، وبقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ

---

١) أخرجه مسلم: ك: «الإيمان» ب: «كون النهي عن المنكر مِنَ الإيمان» ح: «٥٠».

٢) أخرجه مسلم: ك: «الإيمان» ب: «كون النهي عن المنكر مِنَ الإيمان» ح: «٤٩».

أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة:٤٤].

على خلاف في ذلك بين أهل العلم؛ فقال بعضهم: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ولو كان فعله مخالفًا؛ وفي هذا فوائد، منها: أنه قد يكون أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر رادعًا له؛ ولكي لا يقع في مخالفتين: الفعل المخالف، وترك الواجب.

خامسًا: طرق التغيير تتأرجح بين اليد واللسان والقلب، وهذا يحتاج مِنَ المحتسِب أنْ يكون على علمٍ وفقه بأوليَّات الأمر بالمعروف والنهي عَنِ المنكر.

سادسًا: أنَّ **التغيير باليد** مرتبط بالمؤمن القَوِيِّ الذي هو خيرٌ وأحبُّ إلى الله مِنَ المؤمن الضعيف. والتغييرُ باللسان مرتبةٌ وسط بين المؤمن القَوِيِّ والضعيف، والتغيير بالقلب دليل على ضعف الإيمان.

سابعًا: **التغيير باليد** يقوِّي العقيدة، ويعمل على ثبات القلب، ويُورِث المؤمن شجاعة وتوكُّلًا عمليًّا على الله ﷻ، وهوتعبير عن العقيدة العملية الصحيحة، وفيه حفظٌ للقائم عليه مِنَ الله تعالى، وحماية له مِنْ بطش الباطل به؛ لأنَّ للحق هيبة ووقارًا.

ثامنا: في تغيير المنكر وعدم انتشاره في المجتمع أعظم دليل وأصدق تعبير على صدق مُدَّعي الإصلاح، وإلَّا فكيف يتم الإصلاح بدون تغيير، وكيف يتم تغيير بدون مواجهة للباطل والمنكر وهما عَدُوَّا الإصلاح.

تاسعًا: **التغيير باليد** يشمل استعمال القوة بالحكمة، ويشمل الكتابة بالقلم، وبالإشارة، وبالعطاء والكرم.

والتغيير باللسان يشمل الموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب، وأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة، وخطباء الجمعة، والمتحرِّكين بالدعوة والتبليغ في كل مكان.

والتغيير بالقلب لا بُدَّ أنْ يُحدِث حُرقةً في القلب، وتغيُّرًا في الوجه أمام الباطل

ليدل على عدم رضاه، وحركةً بمغادرته وفِراقه لأماكن وأصحاب المنكر؛ لأنَّ القلب يتبعه الجوارح. فحركة الجوارح مُعبِّرة عن الأفكار بالقلب، ومِنْ ذلك الزَّجْر بالهَجْرِ.

عاشرًا: سبق الأمرُ بالمعروف النهيَ عن المنكر، وهذا يقتضي أنْ يكون الأمر بالمعروف بمعروف، وأنْ يكون بالرِّفق واللين، قال النبيُّ ﷺ: **{ إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ }**(١)، وقالَ ﷺ: **{ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ }**(٢).

• وأنْ يكون بالحِلم والأَناة، فهما صفتان يُحبُّهما الله ورسوله في المسلم، وأنْ يعرف كيف يصل بأمره بالمعروف إلى قلب وعقل مَنْ يأمره، وأنْ يتخيَّر المناسب من الوقت والمكان والكلام لحال من يأمره، وأن ينزل إلى مستواه الإيماني والثقافي، وأنْ يبدأ بالترغيب قبل الترهيب، وأنْ يمزج في أمرِه بالمعروف بين الزجر بالعقاب والرغبة في الثواب، وأن يُذَكِّرَهُ بالله تعالى ونعمه عليه وحاجته له، وأنْ يُحاول أنْ يربط قلبه بالله تعالى، وأنْ يلتزم بعبارات مُؤثِّرة موجزة ومختصرة يسهل حفظها واسترجاعها في الذاكرة بعد تركه؛ كقوله للعاصي مثلًا: «**إنَّ لله عبادًا هانوا** (٣) **على الله فعصوه، ولو عَزُّوا عليه لعصمهم**»، وعبارة: «**لا تعجَب ممَّن ضعف كيف ضعُف؛ ولكن اعجَب ممن ثبت كيف ثبت**».

• وأنْ يحتوي وعْظه على بعض القَصَص الصحيح مِنَ القرآن الكريم والسُّنَّة المباركة، وأحوال السَّلف الصالح والعلماء الصالحين والأبرار على مدار التاريخ،

---

(١) أخرجه مسلم: ك: البر والصلة والآداب، ب: فضل الرفق، ح: «٢٥٩٤» عن عائشة ﵂.
(٢) المصدر السابق، ح: «٢٥٩٣»، عن عائشة ﵂.
(٣) الشيء الهين: هو الشيء الرخيص الذي لا قيمة له.

وأنْ يُذكِّره بالموت والحساب ورقابة الله تعالىٰ التي هي خير مِنْ أي رقابة أُخرىٰ، وأن يُركِّز علىٰ تعظيم مقام الله تعالىٰ المفترض أنْ يكون لديه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات]. وألَّا يُطيل عليه في الموعظة، وأن يلاحظ أثر كلامه عليه، ومدىٰ استجابته لحديثه من خلال تعبيرات وجهه وكلامه، وأن يكون حريصًا علىٰ وقته ومشاغله وعمله.

• وأنْ يكونَ لله تعالىٰ هيبةٌ وجلالٌ عليه، وأنْ يكون لديه القدرةُ علىٰ حَلِّ المشاكل الصعبة وإيجاد الحلول لها، ويعمل علىٰ إزاحة كابوس الهموم عنه، وأنْ يُعَلِّمه بعض الأذكَار والأدعية التي تربطه وتُذَكِّرُه بالله تعالىٰ، ويُوصِيه بالمحافظة علىٰ الصلاة في جماعة، والبعد عَن الشرك وظلم الناس، والبعد عَنْ أماكن المحرَّمات وأصحاب السوءِ قدر المستطاع، وألَّا يتركه إلَّا علىٰ ذكرٍ لله تعالىٰ يداوم عليه.

• وأنْ يكون لديه صبرٌ وسعةُ صدر؛ فقد يَعتريه بعضُ الأذىٰ، أو قد يسمع سوءًا، أو يُقابَل بحماقة غير متوقَّعة، فعليه معالجة ذلك بحكمة وعزيمة، كمن يريد إنقاذ الغريق، ومنع المنتحر، فقد يُلحِقُ به الأذىٰ وهو ينُقذه.

هذا بجانب تكوين شخصية محبوبة ذات هيبة ووقار وتأثير فعَّال.

• والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة كل مؤمن ومؤمنة، وهي قد تسبق بعض الفرائض والأركان التعبديَّة.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

• انظر كيف كانت الموالاة لبعضهم، والدليل علىٰ ذلك قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك عونٌ لهم علىٰ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

وطاعة الله ورسوله، وجزاء ذلك الرحمة مِنَ الله تعالى؛ لأنهم رحموا عباده، وأخذوا بأيديهم لدعوتهم إلى الله سبحانه لنجاتهم من النار، والدخول في رحمته (جنته).

وانظر إلى صاحب «يس»، حين دعا قومه حيًّا وميتًا، وغفر الله له وكان مِنَ المكرَّمين، وهذا الجزاء المباشر لهذا العمل. قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس].

وفي الحديث: **{ مَنْ دَعَا إِلى هَدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأجَرِ مثلَ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقص ذَلِكَ مِنْ أُجورِهم شَيئًا، ومَن دَعَا إِلى ضلالةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلَ آثامِ مَنْ تَبِعَهُ لأ يَنقُصَ ذلِكَ من آثامِهِم شَيئًا»**(١).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم: ك: «العلم»، ب: «من سَنَّ سُنَّة حسنة أوسيئة»، ح: «٢٦٧٤» عن أبي هريرة ﷺ.

وقفة

أسس الإدارة الناجحة

- اليقين والصبر هما عماد الإمامة والرِّيادة.
- التوكل على الله ﷻ والأخذ بالأسباب دون التعلق القلبي بها.
- سعة الصدر وحسن الخلق والحلم والأناة.
- العدل والإنصاف وعدم المحاباة أوالمجاملة.
- الحرية والإبداع قرينان لا يفترقان.
- الشورى والاستخارة: فما خَابَ مَنْ استخار، وما نَدِمَ مَنْ استشار.
- القوة في الحق، يحفها المروءة والشهامة.
- الصدق في الحديث والوفاء بالوعد، والشعور بالانتماء مع فريق العمل والإخلاص فيه.
- التفاؤل وعدم التشاؤم وزرع الأمل والاستبشار بالمستقبل.
- المراح في المزاح المباح.
- قوة العزيمة والإرادة.
- القُدوة الحسنة والمثل الأعلى.
- الثقة بالله تعالى يولد الثقة بالنَّفس والاعتزاز بالذات.
- التخطيط الجيد، والإعداد والتدريب الجيد.
- المعرفة بالواقع والإمكانيات والمخاطر.
- التنظيم وتوزيع المسئوليات والأدوار حسب الخبرة العمليَّة والعمل المطلوب مما يوضح لك الأولويات والاختصاصات.
- تَجنب الكِبْر والغطرسة والعجب والتفاخر والحسد واتخاذ القرارات وقت الغضب، وتعلم فن إدارة الحوار، وفن إدارة الأزمات، وتجنب الشائعات والتثبت مِنَ الأخبار والنقول، وفهم النفسيرات للعاملين معه.

المسألة الثانية:
حاجتنا إلى وسائل جديدة وحديثة

• إن ما يتعلق بتجديد الدِّين إمَّا أنْ يُلغي أو يُخفي جزءًا ركينًا مِنَ الدِّين بسبب سوءِ استخدام البعض لهذا المصطلح «**تجديد الدِّين**»، وتشويه صورة الإسلام من خلال تصرفاتهم المشينة.

وإمَّا أن نُقيم الدِّين كاملًا، ولا نتجرَّأ على الله ورسوله باتِّهام دينه بالنقص أو العيب، أو عدم مسايرة الواقع، وخاصة أنَّ الله ﷻ قد أكمل الدِّين، وأتم النعمة ورضيه للناس دينًا حتى آخر الزمان. قال تعالى: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

• وقد أمرنا سبحانه بالدخول في الإسلام والالتزام بكل ما جاء فيه، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً**﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وادخلوا في السِّلمِ كافة: أي: في الإسلام مِنْ جميع جوانبه.

وفي هذه الآية تحذير مِنْ كل ماكرٍ أو ناعقٍ يدعونا لخلاف ذلك، وأنَّ أصحاب هذه الدعاوى بسوء نيَّتهم وخبث طَوِيَّتِهم واتِّباعهم خُطوَاتِ الشيطان، فهم يمكرون بالإسلام والمسلمين خطوة خطوة.

وقال تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ [البقرة: ٨٥].

❁ ❁ ❁

• لذلك من الواجب علينا ابتكار وسائل وطرق جديدة نُجيد بها عرض الإسلام نفسه، وليس عرض فهم المتقربين إلى الغرب، الحريصين على إرضائه ولو على حساب عقيدتهم وإسلامهم، كما نسمع عن الإسلام البرجماتي أو البرجوازي أو ما شابه ذلك، يريدون الإسلام؛ ولكن بمفهوم أهل الغرب.

فلو أحسنَّا وأجدنا عرض الإسلام كما أحسن عرضه والدعوة إليه مَن فتح الله ﷻ بهم البلاد والعباد، وقتها سوف يفتح الله بنا قلوبًا غُلفًا، وآذانًا صمًّا، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا كما كانوا مِنْ قبل، وعجب العجاب أن الناس في أمريكا وأوربا يتهموننا بسوء العرض لقضايانا وإسلامنا، وأن اليهود أفضل منا في أسلوب وطريقة العرض لقضاياهم وعقائدهم، ويجب أن تشغلنا هذه القضية:

كيف نقوم بتوصيل الإسلام إلى العالم؟!

❁ ❁ ❁

والطريق إلى تحقيق ذلك يكمن في خطوات لابد منها:

١- الحكمة في العرض:

إن الحكمة في العرض تقتضي فنًّا وأسلوبًا للحوار وقوة الحجة والبرهان - لا فرض الرأي وتبادل الاتهام - وسعة الصدر في السماع، وتجنَّب الصوت العالي في الحديث، والانتقال بالحديث عندما يحدث الجدال، والحذر من إعجاب كل فرد محاور برأيه، والبُعد عن العصبيَّة، وتجنُّب المراء والجدل، والبدء في الحديث بالأمور المتفق عليها، ثم التدرج إلى نقاط الخلاف، تبدأ بالأصل ثم تتفرع، وتلتزم بالحجة والدليل المؤثر المؤيَّد بالبرهان، وأهم من ذلك كله أن يكون حديثك مناسبًا له ولدرجة إيمانه، حريصًا على عدم ضياع وقته ووقتك، وأن يتطابق قولك مع فعلك والواقع، لا تتحدث معه في خيالات، أو أحلام، أو تبني له مدينة فاضلة ليس لها وجود إلَّا في خيال مؤلفها، وألا نكثر الجدال مع أهل البدع.

٢- حسن الخلق:

وهو أصل الدعوة وسرُّ نجاحها؛ فإنك لن تستطيع أن تسعَ الناس بمالك؛ ولكن يمكنك أنْ تَسَعَهُم بحسن أخلاقك وتأسِرَهم به؛ كما أخبر بذلك سيد الدعاة وأميرهم ﷺ.

• وفي الحديث: { إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنكُمْ خُلُقًا }(١) الحديث.

ولقد دخل الملايين من الناس في دين الله ﷻ أفواجًا بحسن الخلق، والاحتكاك المباشر مع أخلاق المسلمين.

وكان من دعائه ﷺ: { اللَّهُم اهْدَنِي لأحْسنَ الأخْلَاقِ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لأحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، واصْرِف عَنِّي سَيِّئَ الأخْلاقِ، فَإِنَّه لَا يَصرِفُ عَنِي سَيِئِهَا إِلَّا أَنْتَ }(٢).

كما أنَّ حُسنَ الخلق من أفضل البرِّ؛ ومن صفات عباد الرحمن.

ولقد أثنى الله ﷻ على سيد ولد آدم وأفضل المرسلين والنبيِّين ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

❁ ❁ ❁

٣- القدرة على الابتكار والتجديد في الأسلوب كي تصل إلى قلوب الناس:

وأتذكَّر قصة الشيخ عبد اللطيف مشتهري رحمه الله وكان في السبعينيات، تلقَّى دعوة لإلقاء محاضرة بمدينة «**اللاذقية**» بدولة «**سوريا**» وهي مِنْ أقرَبِ البلدان عادات وتقاليد إلى مصر وغيرها مِنَ الدول الإسلامية والعربية، فقابله محافظ البلدة، وقال له: يا شيخ، نعتذر إليك إذا لم يحضر ندواتكم ومحاضراتكم إلَّا القليل؛ فالشباب هنا منصرف إلى المقاهي والحانات والكُرَة، ولاحول ولاقوَّة إلَّا

(١) أخرجه البخاري: ك: «الأدب»، ب: «لم يكن النبي فاحشًا ولا متفحِّشًا»، ح: «٦٠٢٩»، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم: ك: «صلاة المسافرين وقصرها»، ب: «الدعاء في صلاة الليل»، ح: «٧٧١» مِنْ حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

بالله العلي العظيم، فما كان مِنَ الشيخ ﷺ إِلَّا أنْ طيَّب خاطر المحافظ ودعا له وشكره وانصرف.

ثم أخذَ الشيخ يستعين بالله تعالىٰ، ويلجأ إليه، ويستلهم رشده وتوفيقه، ويفكر في حيلة يجذب بها الشباب، انظر لتوفيق الله تعالىٰ لهذا الداعية، وإلىٰ الطريقة التي اجتذب بها الشباب حتىٰ امتلأ بهم المسجد الجامع، واكتظت الشوارع المحيطة، ولم يوجد موضع لقدم مِنْ كثرة الزحام. ماذا فعل؟

ذهب إلىٰ خطَّاط وطلب منه عمل لوحة قماش عرض ١٦٠سم × ٨م، وكتب عليها: يوم الثلاثاء القادم بعد صلاة العشاء موعدنا مع «**حب وغرام مِنْ قصة يوسف عليه السلام**».

وجاءت الوفود الشبابية مِنْ كُلِّ مكان، وانتشر الخبر، وجاء الموعد ليرىٰ الناس رجلًا شيخًا مُعمَّمًا يجلس علىٰ كرسي الوعظ، وبدأ الشيخ يشرح سورة يوسف عليه السلام، وما أدراك ما الشيخ عندما يتحدث في التفسير وجذب الحاضرين بأُسلوبه الشيِّق، وطريقته الممتعة، وعرضه الجذَّاب، حتىٰ إذا وصل إلىٰ الموضع الذي حضر مِنْ أجله الشباب، انتبهت العقول، وتعلَّقت وتشخَّصت به الأبصار؛ قال لهم الشيخ: وفي الأسبوع القادم نُكمل ماذا فَعل يُوسف عليه السلام عندما غلقت المرأة الأبواب، وتهيَّأت وتزيَّنت، وقالت: هيت لك، نعومةً في القول، جمال في الزينة، شموخًا في طلب الشهوة، وكبرياء لم تتنازل عنه.

وتفرَّقت الجموع وهي تنتظر علىٰ شوق تكملة قصة يُوسف عليه السلام، وحان اللقاء الثاني، وانتهىٰ الشيخ مِنْ تفسير السورة كاملة علىٰ مدىٰ أربع ساعات في أسبوعين.

وبعد المحاضرتين استدعاه المحافظ وقال له: لا نجد ما نشكرك به فقد أُغلِقت الحانات، وهُجِرَتِ المقاهي، وامتلأت المساجد بالمصلين، وتاب الشباب وعادوا

إلى الله تعالى متمسِّكين بدينهم.

• هذا مثال لعرض الدِّين، وتفسير القرآن الكريم بطريقة تُناسب الشباب، وبحيلة لاغضاضة فيها، والرجل ﷺ لم يُبَدِّل في نصوص الدِّين من أجلهم، ولم يغيِّر فيها؛ إنما هي طريقته وحسنها في عرض كلام الله تعالىٰ وخبر رسوله ﷺ.

❁ ❁ ❁

• قَرَأْتُ كتابًا للشيخ **أبي بكر جابر الجزائري** بعنوان: «**إلى التصوف يا عباد الله**» فتعجَّبت مِنَ العنوان؛ فالشيخ مُدرِّسٌ بالمسجد النبويّ الشريف، وهو لا يميل إلى الصوفية المنحرفة عن طريق الحقّ، المتعلقة بالبدع والخزعبلات والخرافات، ولما قرأت الكتاب وجدت فيه إنصافًا ودعوة إلى المتصوفة للتوبة والتمسك بالحقِّ، والرجوع إلى الله تعالى مما أساءوا فيه إلى الإسلام وانحدروا به إلى الهاوية، قارن هذا العنوان بعنوان «**الوثنية في ثوبها الجديد**» وهو كتاب يتحدَّث عن الصوفية أيضًا.

قارن بين الكتابين لكي تعرف أنَّ الكتاب الأول «**إلى التصوف يا عباد الله**» قد عرف مؤلفه الطريق إلى مَنْ يريد أنْ يخاطبهم، وكيف يخاطبهم، ولمن كتب هذا الكتاب، وهذه خبرة وحِنكة في الدعوة إلى الله تعالى، أمَّا الكتاب الثاني «**الوثنية في ثوبها الجديد**» فهو أكثر حجمًا ومعلوماتٍ، ولكن مؤلفه فقد أهم شيء وهو: مَن يخاطب في الكتاب، ومَنْ يقوم بشرائه وقراءته؟ لذلك فإن طريقة العرض، وحسن اختيار العنوان، ومعرفة الشريحة التي نخاطبها مِنَ الأمور الهامة في الخطاب الدِّيني.

فكان اختياره للعنوان موفَّقًا؛ لأنه يريدهم هم في حديثه وكتابه.

❁ ❁ ❁

• وأعرفُ رجلًا داعية رزقه الله تعالى الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، قابله

شابٌّ صالح وسأله عن حكم الإسلام في الغناء المنتشر اليوم بين الشباب، فأجابه الرجل في دقيقة واحدة بآية وحديث، ثم اجتمع بنا القدر ورأيت شابًّا لا يبدو عليه علامات الصلاح يسأله نفس السؤال، فوجدت الشيخ يجلس معه قرابة الساعة يُؤانسه ويُداعبه ويُجالسه ويتعرف عليه، وعلى بيئته وثقافته ودراسته، ثم بدأ معه في الحديث، ماذا يسمع؟ وفنَّد له الكلمات كلمة كلمة؛ على سبيل المثال قول المغنِّي: **قدرٌ أحمق. ماذا يعني؟ وماذا يسبّ؟** وقول الآخر: **مِنْ غير ليه**، وشرح له معناها، وكيفية مضاهاة ذلك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، وقول ربّ العزَّة والجلال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]. واستعرض معه قول القائل: «**البنت زيّ الولد مِش كمالة عدد**»، يضاهئون به قول الله ﷻ ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

المهم استعرض له سخافات وتفاهات أقوال هؤلاء المغنيين والمغنيات، ثم قال له: ترى هذا الكلام يوم القيامة أين يُوضع، في ميزان الحسنات أم في ميزان السيئات؟

ثم، أليس المشهور مِنْ سيرة هؤلاء: الدعارة وشرب الخمور والسفور وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا؟! وأين يُحب أن يُحشر هو؟ هل يُحب أنْ يُحشر معهم **{لأنَّ المرءَ يُحشرُ مع مَنْ أحَب}**، ومَنْ أحبهُ فليكثر مِنْ ذِكرِه وسماع كلامه.

ثم انتقل به انتقالًا بديعًا تربويًّا، فأخذ يُسمع قلبه قبل أذنيه كلمات من الأناشيد الإسلامية، ويُرنمها له؛ فأخذ يقول:

شباب الإله هداة الشباب تعالوا تعالوا لفصل الخطاب
أهاب النبي ونادى الكتاب فطوبى لعبدٍ دعا واستجاب
إلى الله ندعو إليه المآب إلى الله ندعو إليه المآب

إلى الله ربّ الورى وحده إلى الربِّ لا مُرتجى بعده
إلى المصطفى ﷺ نجتري عهده إلى الحق نسأله وُدَّه
إلى الحــرم المطـهر نرجـو الثواب

• كلمات هزت وجدان هذا الشاب، وحركت الإيمان في قلبه، بما حملته مِنْ معاني العقيدة، وعذوبة الألفاظ، وجمال الأُسلوب، وروعة المعنى، وحسن الأداء، ثم جَوَّدَ له بعض آيات القرآن، وذكر له قوله ﷺ: { لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَ بالقُرآن }(١).

فما كان مِنْ ذلك الشاب بعد ساعة مِنَ الحوار إِلَّا أنْ عاهد الشيخ على المواظبة على الصلاة في المسجد، ومسح كل شرائط الكاسيت التي عنده، واستبدل بها شرائط إسلامية.

لاحظ أنَّ الشيخ لم يتكلم معه في حرام وحلال؛ ولكنه استدركه بوعي المربي وحكمة الداعية، وتحدث معه بما يناسبه بعد أنْ عرف المدخل إليه.

❁ ❁ ❁

• فلا شك أنَّ حاجتنا إلى وسائل جديدة في نشر الدِّين وعلومه بين الناس يجب أنْ تتطور مع تطور الأحداث، وتقدم العلوم، وثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات، وانتشار الفضائيات.

• يمكنك الآن الدعوة عَنْ طريق المسابقات والهدايا الإسلامية: كشريط أو اسطوانة كمبيوتر أو ملصقات أو مطويَّات وكتيِّبات.

• يمكنك الدعوة عن طريق الزيارات وإقامة الندوات والدعوة إلى الولائم والطعام، واستغلال ذلك كله في عرض الإسلام وبيان عظمته وسُنَّته حتى ولو

---

١) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: ﴿وأسروا قولكم اجهروا به﴾، ح (٧٥٢٧).

كانت البداية على سُنَّة الإسلام في الطعام، وآداب سيد الأنام ﷺ في الشراب والطعام.

• يمكنك استغلال مناسبات الناس، وأماكن تجمعهم، في عرض الإسلام.

• يمكن دعوة الناس إلى حضور مجلس علم أو محاضرة لداعية يَدخُل القلوبَ بلا استئذان، ويُبهر العقول بلا تكلُّف أو مجاملة.

• يمكنك الدعوة إلى الله تعالى بحسن الخلق الذي تتصف به، وبصدقك في الحديث، ووفائك بالوعد، وحفظك للأمانة، وتفوقك في مجال عملك أو دراستك أو تجارتك.

• يمكنك الدعوة إلى الله تعالى بحسن معاشرتك لأهلك، وبرّك بوالديك، وإحسانك لجيرانك.

• يمكنك الدعوة إلى الله تعالى بالعفو عند المقدرة، وسعة الصدر، وكظم الغيظ، ومبادلة السيئة بالحسنة مع إخوانك.

• يمكنك الدعوة إلى الله تعالى بأنْ تكون كما كان سيدك ﷺ قرآنًا يمشي، وكان خُلُقه القرآن، كيف حول القرآن مُترجمًا إلى واقع عملي وخُلُقٍ ملموس محسوس.

• يمكنك أن تكون نموذجًا عمليًّا بإخلاصك لله تعالى، وقوّة ثباتك على العقيدة والتوحيد، وبُعدِك عمَّا لا يعنيك فلا تتدخل فيه، ولا تكن ثقيلًا في حديثك مع الناس، ولا تكثر من الحديث معهم حتى لايملُّوك.

• يمكنك الدعوة إلى الله بأن تكون داعيًا ناجحًا إذا اقتحَمْتَ مشاكل الناس، وقدمت لهم حلولًا عملية بعيدة عن الروتين والسلبية والتقليد، وأنت غنيُّ النفس عما في أيديهم.

• يمكنك النجاح بالدعوة إلىٰ الله بالنجاح في حياتك وتفوقك، وكونك محطَّ أنظار الناس بهذا النجاح والتفوق، وكذلك إذا سارعت في نجدة الملهوف، ومساعدة المحتاج، والسعي في مصالح العباد قدر المستطاع.

• يمكنك الدعوة بالقول والفعل والقلم واليد، تتخيَّر الوسيلة الملائمة والمناسبة للزمان والمكان والأشخاص.

• يمكنك الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بغيرتك علىٰ الدِّين، وهمتك في إقامته، وإقبالك علىٰ الله والدار الآخرة، وحبّك للجهاد في سبيل الله وتفضيل الآخرة علىٰ الأولىٰ.

هذه فرصتك في الإبداع والتطوير والتجديد، والوسائل أكثر مِنَ ذلك بكثير ولا تقف عند حدٍّ معين.

❁ ❁ ❁

فلتكن همَّتنا في كيفية إيصال الدِّين إلىٰ الناس، لا في الحذف أو الإضافة أو التحوير أو الخداع والأوهام.

لتكن مهمتنا في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن بما يلائم العصر ولغته وخطابه المناسب لتهيئة الناس إلىٰ ربهم جلَّ وعلا، وحثهم علىٰ التوبة والإصلاح.

فلنطوِّرْ مِنْ أساليبنا طالما تطور فكر الإنسان وازدحمت عليه الواجبات، وتراكمت عليه المسئوليات في ظل مادية لا تعرف الرحمة ولا الشفقة، بعيدًا عن القلق والتطرف، والتسيب والانحلال، أو إقرار للباطل علىٰ باطله، أو موافقته فيما يفعله.

• لتكن الغَيرة في محلها، والحكمة في موضعها، والرحمة لأهلها، والغضب لله ولرسوله، بعيدًا عَنْ الأهواء والأطماع والأوهَام.

وجماع ماذكرناه كله في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

• والحمد لله الذي جعل الغرب وساسته ومفكريه يتعجبون مِنْ هذه الحقيقة الساطعة أنَّ الإسلام هو الدِّين الوحيد الذي يتماشىٰ ويتساير مع التطور والمدنية والعلم والتكنولوجيا، يُلائم الأغنياء والفقراء، والساسة والعبيد، ولديه القدرة علىٰ اقتحام القلوب والعقول، ولا يعطل مصالح الناس، ولا يصطدم مع واقعهم وأمانيهم، توازن بين الروح والجسد، وبين الدِّين والعلم، والعلم والعقل، والدنيا والآخرة، لا رهبانيَّة ولا تبتل، ولا نفاق ولا انغلاق ولا انفتاح بدون ضوابط وحدود، وسطيته العدل، وعدله هو الرحمة والحكمة؛ ولذلك اختاره الله سبحانه ليكون خاتم الأديان، فأكمله وأتمه ورضيه للناس دينًا إلىٰ يوم الدِّين.

• يتعجبون مِنْ إسلام الآلاف من البشر كل يوم، بلا أي إغراءات مادية أو وعود بمراكز أو شهوات كما يفعل المبشرون في الديانات الأخرىٰ، ومع ذلك لا يدخل في دياناتهم إلَّا مَنْ له مصلحة، فإذا قضيت مصلحته ترك دينهم.

أمَّا في الإسلام فمن دخل فيه طواعيته لا يرتد عنه إلَّا نادرًا، والإسلام لا يقدم لمن أسلم به إلَّا الوعد بالجنة ومرافقة الأنبياء فيها. قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء].

❁ ❁ ❁

وقفة
تعلم القيادة

- الدعوة إلى الله تعالى قيادة ولا بُدَّ مِنْ معرفة هذه الاصطلاحات.
- المعادلة الصحيحة للقيادة أن تقرأ لتتعلم وترتقي، وتقرأ ما يدور في أذهان الآخرين.
- من مهارات القيادة أن يكون لديك قدرة وموهبة مِنَ الله تعالى على التخيل للوصول إلى الهدف.
- القيادة فن وصناعة والتوفيق مِنَ الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

- **من صفات القائد:**

ـ الرؤية الصحيحة الواضحة المبنيَّة على العلم والمعرفة والخبرة والفهم، مما توفر لك الإلهام والحافز.

ـ الالتزام وألَّا يخالف قولُك عملَك (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ).

وهذا يعني الصدق مع النفس أمام الآخرين، وأهم مِنْ ذلك كله... صدقك مع الله ﷻ، وهذا لا يكون إلَّا بمراقبته.

ـ الأمانة في تحمل المسئولية وقول الحقيقة.

ـ بذل الجهد والطاقة، فأصحاب الأماني والكسالى لا مكان لهم في القيادة.

ـ الانتظام والنظام والالتزام بالمواعيد والتوازن والعناية بالرُّقي بالذات.

ـ الحب: حب العمل الذي أنت فيه، والمهام المسندة إليك، وهذا نادر بين الناس اليوم لعموم البلوى والسخط والضجر والشكوى مِنَ الناس، ومِنْ ذلك حب نفع الناس والرقي بهم ومساعدتهم.

ـ المثابرة والصبر... فلن يُنال المجد إلَّا بالصبر، وحذف الفشل والاكتئاب مِنْ قاموس العقل والحياة، والتوكل على الله ﷻ.

وتذكر هذا الأثر: «يعجب ربك مِنْ قنوط عباده فينظر إليهم وهم قانطون فيظل يضحك إليهم، يعلم أنَّ فرجهم قريب».

وهذا ما يدعوك لتكون قائدًا ناجحًا تُغير في الناس، وأنْ تمحو كل السلبيات من قاموس حياتك وحياتهم.

❁ ❁ ❁